أي الشك عطف مراد ف فقالوا كما حكاه الله عنهم في كتابه هو
تلبيح مرة انه سحر أي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف
مأخذه ودق وقالوا مرة أخرى انه افتراه أي كذبه ومرة أساطير
الأولين إلى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم
وضلوا بما قالوا بل هو والله المتفضل بإنزاله قرآن مجيد في لوح محفوظ
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك
ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا دراية ولا استعداد
ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة بأنه
إذا كانت البينات أي الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان لم
تغن هم أي تفدهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى أي طلبه بحج
منهم بتلك الحجج بعد اليأس من إيمانهم أي طلبه منهم بتلك الحجج بعد
اليأس من إيمانهم عنا أي تعب لا يفيد شيئا وإذا ضلت عن طرق
الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام عليه مستولي على أي مع
علم منها بتلك الطرق أي أهلها باريها فماذا تقوله أي فأي
قول تقوله الأنبياء النصحاء وقولهم لا يفيده شيئا والبيت الأول حينئذ
مقتبس من قوله تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
والثاني من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله أفلا تذكرون ومما قررته كلامه تعلم أن هذين البيتين
من الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول
الأئمة أجمعت الأمة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف أبي جهل
مثلا بالإيمان مع علم الله بأنه لا يؤمن وذلك لأن التكليف بالمحال

لغيره بذلك

لغيره لتكليف بذلك إنما هو بالنظر للحالة الراهنة المطوي عنا عاقبتها
فهم بالنسبة إليها مكلفون بالإيمان لقدرتهم عليه ظاهرا وإن كانوا
عاجزين عنه باطنا لعلم الله بأنهم لا يؤمنون لأن هذا لا نظر إليه
وإلا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرائع
فاحذر أن تميل إليه فتزل قدمك وتحق ندامتك واستحضر قوله
تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فوائد منها قيل حكمة
تنزيه القرآن من الشعر مع أن الوزن يورث الكلام عذوبة أن
قصارى أمر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والإفراط في
الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه
عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره
صادق اللهجة مفلقا في شعره أي غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر
لا يسماه لأن شرطه القصد ومن ثم لم يعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا
لعارضوه وقيل دون البيتين ليس بشعر لعارضوه وقيل دون البيتين
ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا فقيل الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي
اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا
ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف
فواهم وأغراضهم وأحوالهم ومنها أن سائر كتب الله لا إعجاز فيها من حيث
النظم والتأليف لأن السفهم كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم إنما حكاية
لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القرآن آيات متشابهات
من حيث النظم كإيراد القصة الواحدة في صور وفواصل مختلفة ككلا فتحالا
يذكرون ويتذكرون ويستزيد ويستنزيد وذلك كثير وقد أفرد خلائق
الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ثم تبعه الأئمة حتى أفرده بعضهم